

بسم الله الرحمن الرحيم

أغاني الطفل

في تونس

د.صالح المهدي

تبدأ أغاني الطفل بتونس من الأشهر الأولى من اقتحامه للحياة بعد ما يبرز بصيخته التي يبرهن بها عن وجوده حيا وكأنه يعبر بها عن خوفه مما ينتظره من تعلم وعمل ومسؤولية على مستويات عديدة من سلم الحياة .
فأول الأصوات التي يتلقاها تأتي من أمه منبع العيش والحنان الذي يشعر به من كلمة "كوغة" على صوتين في مسافة خماسية تلك التي تعينه على استبدال بكائه بالضحك، تعبيراً عن الفرح والاطمئنان بالقرب من أمه الصديقة الأولى التي يرى فيها سعادته وحبه الذي يرافقه مدى الحياة.

وعندم يستتشق الطفل نسيم السابع يوم من عمره يجله أبوه تلامذ كتاب (وهو مدرسة لحفظ القرآن الكريم) فينشدون له قطعة

حليمة يا حليمة	قم ارضعي نبينا
قم ارضعيه حقا	شوقا له رفقا
ترين منه صدق	محبيا متينا

وبعد ما يظهر تعلقه بأمه تدريبه هذه الأخيرة على إدراك إسم الله سبحانه وتعالى، على صوتين تفصلهما مسافة رباعية أو ثلاثية أو ثنائية وعلى إيقاعات ثنائي وثلاثي ورباعي، مع ترقيصه للإمام والخلف برفق على هذه وبعد ذلك تبرز الأم حنانها ولطفها بغناء ما نسميه "بالتبينة" وهي الأغنية التي تساعد على النوم في هدوء وراحة واطمئنان، مع ترقيصه بلطف الى أن يغمض عينيه بعدما ما يشبعهما من النظر لحبيبتة وأمه، طالع هذه الأغنية:

نني نني جاك النوم	ياخديد بوقرعون
-------------------	----------------

وبعدما يصحو الطفل من نومه ويتناول وجبته، تأخذ أمه في اللّعب معه، حيث تضعه في حجرها وهو ملتفت إليها وتأخذ في ترقيصه الى الأمام والى الخلف وهي تغني :

جع، جع، جعجونا أم الخير ميمونة

ميمونة حبيبتنا سراقة خميرتنا

سرقتها وخذاتها نهار العيد كلاتها

هي ووليداتها

وعندما يطمئن الطفل في رقصته وتأرجحه، تظهر وكأنه سيسقط فتثير ضحكه ويريد أن تعيد له هذه الرقصة والأغنية

وعندما تبرز أو سنة عند الطفل أو البنات، تقيم لهما أم حفال يعرف بـ"الكركوش" تدعو له صديقاتها اللآئي يأتينا رفقة أطفالهن ويغني الحضور الأغنية الموالية وهم يدورون بالطف تحه أمه أو جدّته في حلقة مستديرة :

حفلنا حفلنا بالكركوش باب جابلنا علوش

باب جابلنا معيزتنا يا رب هني ميمتنا

هني العيلة مع حومتنا ري يبارك في الكركوش

بعد ذلك تدرّب الأم طفلها على استعمال يديه للتصفيق وأسنانه ليكل بها السمك بأغنية

تينا تينا تينا با جاوب حويته (سمكة)

نقليوها بزويتا في الطاجين يتشتش

ووليدنا يننش

يننش بسنيناتو ري يديم حياتو

هو وحيّاتو

وتحت الأم طفلها على التصفيق وعلى اشارة الأكل بالأسنان وهي تغني هذه القطعة
وبعد ذلك تغني له أمه أحد أقاربه الأغنية التي تعرّفه بالماء، مصدر الحياة واحتياج البشر
والحيوانات اليه من خلال الحجلة التي تفر طائرة عندما يزاحمها الغراب (القوقو) في شربها للماء
والغناء هو :

هنا هنا هنا حجلة طنبو ماء (أي تشرب الماء)

جاء القوقو يشر طارت الحجلة ... فررررر

ويرفع الجميع أيديهم إيدانا بالفرار والطيران ويقلدهم الطفل .

وفي سن الرابعة انتجنا للطفل أغنية يتعلّم بها الموسيقى وهو يلعب، يغني بالتدرّج من
درجة الراسن الى السيكا، ثم من الدوكه الى الجهاركه، فمن السيكا الى النوى، ثم ينزل من
الحسيني الى الجهاركه فيعيد الطفل الدرجة الأخيرة ثلاث مرات وبعدها من النوى الى اسيكاه
ويعيد الطفل الأخيرة ثلاث مرات ، ثم من الرباقة الجهاركه الى الدوكه التي يعيدها أيضا، وأخيرا
من السيكا الى الرست التي تعاد مثلما سبقها وتتم القفلة بالتدرّج من النوى الى الرست كما
سنلاحظ في الكتابة الموسيقية الموالية، وقد شاركت بهذه الأغنية مؤتمر التربية الموسيقية التي
إنعقد بمشيغن بالولايات المتحدة سنة 1966 بوصفي رئيسا مساعدا للمنظمة العالمية للتربية
الموسيقية وقد ترجمت الأغنية للفرنسية والانجليزية وفيما يلي نصها ولحنها :

وفي سن الخامسة انتجنا للطفل قطعة يتعلم بها الحساب في ثلاث مراحل من الواحد الى العشرة،
ثم من الحادية عشرة الى العشرين، وأخرا من الثلاثين الى المائة في النص الموالي:

ومن أغاني الأطفال القديمة تلك التي ينشدونها طلبا للمطر عند الاحاجة، حيث يحمل عدد من
الأطفال والبنات دمية من قماش (أمي طنقو) يجوبون بها بيوت الحي وهو يغنون ويقفون عل
كل باب ، تفتح ربة البيت وتصبمقارا صفير من الماء على الدمية ، ويعتقد العامة أن الله
سبحانه وتعالى يأخذ بخاطر الأطفال وما أن تنتهي الجولى حتى يأتي بالغيث النافع (الأغنية) :

أمي طنفو يانساء طلبت ربي عالشتاء (المطر)

طلبت ربي لا يخيبها يرزقها مع أقربها

يرزقنا في هالنار ربي يغيثنا في مشرور

وعندما تتهاطل المطر الى حد الضرر يخرج الأطفال مرة أخرى بدمية (أمي عويشة) يمرون

بالبيوت ويغنون فتعطيهم النساء شيئاً من الحلوة والأغنية هي

يا أمي عويشة رزق الشميسة

وليدائك ماتو بالبرد دفيهم بشوية ورد

ويعتقد العامة أن الله يستجيب في المرة الثانية كما استجاب في المرة الأولى للأطفال ويغير

المطر والبرد ببروز الشمس وقدام الربيع وأزهاره العطرة وطيبوره الغناء .

وبعد هذه السنيدخل الطفل للكتاب وهو المدرسة الشعبية لتحفيظ القرآن الكريم مع مطون (ابن

عاشر) في الفقه المالكي و (الأجرومية) في النحو (والجوهرة) في التوحيد مع مبادئ القراءة

والكتابة وتعويده على النطق بالعربية الصحيحة .

وتدخل البنات دار المعلمة (وهي المدرة الأولى للبنات) حيث تدرس ما ذكرناه للطفل مع

تدريبهن على الخياطة والتطريز والشبكة والطبخ والحلوى، ويشارك الأطفال والبنات (كل على

حده) في أيام الزينة بالغناء وذلك قبل يعيدي الفطر والاضحى بثلاثة أيام

في الكتاب يتغنى الأطفال بـ

مدبنا في الجنة وأحنا ديرين به

الله يسقينا ويسقيه من حوض النبي يشفيه

يا كبار ويصغار صلوا على النبي المختار

في كل ليلة وكل نهار محمد شارق الانوار

وعندما يختم أحد التلاميذ أي يصل الى سورة (الاحلاص) ثم سورة (البينة) ثم سورة (الأعلى)

وبعد ذلك تكون الختمة في كل حزب من القرآن ، وبهذه المناسبة يزخرف شيخ المؤدب لوحة

التلميذ التي يحملها لبيته ويحتفل به زملاؤه بزيادة الأبيات المولوية على نص الأغنية السابق

ذكرها

أحنا ختمنا في القرآن
زيد في البرّوالاحسان
يا كبار وياصغار
في كل ليلة وكل نهار

يا ربي زيدنا إيمان
بجاه ياسين وآل عمران
صلوا على النبي المختار
محمد شارق الأنوار

وفي دار المعلمة يقام مغرض لمنتوج البنات يغنين فيه مايلي
محلّى دار معلمتنا
يا ربي بارك وهني
في هالدار نعيشو وخيات
طريزة وشبكة وحلويات
قراية وغنيات جمعتنا
يارب بارك وهي
نلبس الحرير وانحني
ري يديم لينا فرحتنا
بالافراح هي لمتنا
وزهي أيمننا وسيرتنا
نتعلم برشة صناعات

وفي كل من الكتاب ودار المعلمة تقام احتفالات من يوم غرة ربيع الأول بمناسبة المولد النبوي الشريف ، حيث تخصص الساعة الأخيرة من الحضور بالغناء، وعلى الخصوص بالهمزية والبردة للشيخ البوصيري بلحنيهما الشعبيين وقد خصصت الأميرة التونسية عزيزة عثمانة حفيفة الملك عثمان باي الذي حكم تونس اثناء القرن السادس عشر، وفقا لهذه المناسبة يوزع ريعه على التلاميذ والمؤدبين ، وقد كنت أسلم المبلغ الذي أنقاضاه في هذه المناسبة (7صوردو) فتشتريه مني جدتي بفرنك، أي حوالي ثلاثة أضعاف لتضعه في كيسا تبركا بمول الرسول صلى الله عليه وسلم ، وفي ما يلي لحن البردة والهمزية الممارسة شعبيا :

- الهمزية :

- البردة :

ويدعى تلاميذ الكتاتيب المشاركة في احتفالات الختان سواء وهم يجوبون الشوارع مع الطفل الذي سيقع ختانه رفقة دويه او في بيت أسرته وهم يغنون (الهالو) (1)
وهللا وكبرو تكبيرا صلو على محمد كثيرا
- اللحن الأول

(1) وقد استعمل المسيحيون هذه الكلمة وينطقونها أيا لو يا

- اللحن الثاني :

تتخللها أبيات من ابن عاشر للفقہ المالكي وذلك على لحنين يغنى ثانيهما عند اقتراب المسيرة من بيت الطفل الذي سيختن وذلك لما في اللحن من سرعة الايقاع :
وانتجنا عدة أغان للأطفال تناسب سنهم وأصواتهم نقدمها فيما يلي :

ربي

تأليف الأستاذ أحمد المختار الوزير

إني عرفتك ربي	في كل شيء أراه
في الفجر إذا يتجلى	للناظرين ضياه
وفي الضحى والروابي	تزهو بحسن رواه
وفي المروج عليها	ماج الندى وشذاه
فأنت ربي نور	في ناظري سنه
إني عرفتك ربي	في كل شيء أراه

عيد الأمهات

تأليف الأستاذ أحمد المختار الوزير

إليها كل إكباري	إلى أمي تحياتي
من ورد وأزهار	وما حملت لها كفيا
تتاجيها بأصرار	إليها قبلتي الأولى
يفوق بيان أشعار	ففي قلبي لها حب
في الضمّات تذكّار	فضمّيني أيا أمي
وآمالي وأفكاري	فعيدك فرحتي الكبرى
بأعلاني واضماري	وعيدك بهجة ضاءت

لقاء الروضة

تأليف الأستاذ أحمد المختار الوزير

بالروضة المزدهرة	مع الصباح نلتقي
وجوهنا مستبشرة	ثيابنا نظيفة
شمس السماء النيرة	فنحن في روضتنا

أختي النصوح

تأليف الأستاذ أحمد المختار الوزير

كيف أنظر في الكتاب	أختي الكبيرة علمتي
غير لحن واضطراب	أو كيف أقرأ مثلها من
	ومتى تلوت عبارة فكرت في معنى الخطاب
وهي العليمة بالصواب	أني لأذكر نصحتها

الفلة المبتسمة :

تأليف الأتاذ أحمد المختار الوزير

شذية مبتسمة	بيضاء وإسمي فلة
أنيقة محتشمة	لطيفة طرفة
روضتنا الملتئمة	أقبلت في الصيف على
برؤيتي مسلمة	وألمي ان تسعدو
عاشت لنا المعلمة	وإن تقولو كلكم
حياتنا منظمة	فهي التي قد جعلت
نصون الكلمة	وعلمتنا مع ذا كيف

العطلة

تأليف الأستاذ الصادق مازيغ

آن قطف الأمل	بعد كدح العمل
والعناء قد رحل	والمنى أزهرت
والمنى أشرقت	الدروس انتهت
في قشيب الحل	والعلى أقبلت
في حقول الرشاد	نحن غرس البلاد
واضحات السبل	نفتقي رفقة
عزما كالحديد	شعبنا لن يليد
قد زها واكتمل	والزمان السعيد

تلك نبذة عن أغاني الأطفال بتونس ، واقتراحي أن ننشر كتاب جامعا لتلك الأغاني من جميع الأقطار العربية للتوثيق والدراسة والمقارنة، وأن تنظم وزارات الشباب والطفولة مسابقات سنوية لإنتاج أغاني جديدة للأطفال نتناول فيها جمال طبيعة بلادنا ومعاني الأخلاق السامية وخاصة الأخوة والمحبة والعمل المثمر لفائدة الجميع .

والله الموفق